

سفارات الكنيسة الأرمنية إلى القسطنطينية وروما والقاهرة وأثرها على اندلاع الحروب الصليبية

Armenian Church Embassies To Constantinople, Rome And Cairo And Their Impact On The Outbreak Of The Crusades

Ambassades De L'église Arménienne A Constantinople, Rome Et Le Caire Et Leur Impact Sur Le Déclenchement Des Croisades

محمد زرقوق*

جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة عين الدفلى، الجزائر

تاريخ النشر: 2019/06/22

تاريخ القبول: 2019/04/27

تاريخ الإرسال: 2018/10/14

ملخص : ركز المقال على الزيارات التي قام بها رئيس الكنيسة الأرمنية الكاثوليكوس (الجاليق) جريجور الثاني فيكاياسر، إلى كل من القسطنطينية وروما والقاهرة، بعد معركة مانزكرد التي أدت إلى سقوط أرمينيا بين أيدي الأتراك السلاجقة. حيث تمكن من مقابلة كل من الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع دوقاس، والبابا جريجور السابع، وبدر الجمالي أمير الجيوش في مصر. ويحاول هذا البحث استغلال بعض المصادر والدراسات الحديثة لاكتشاف العلاقة بين هذه الزيارات والحملة الصليبية الأولى التي اندلعت فيما بعد.

الكلمات المفتاحية : جريجور الثاني؛ مانزكرد؛ أرمينيا؛ السلاجقة؛ ميخائيل السابع؛ جريجور السابع، بدر الجمالي؛ الحروب الصليبية.

Abstract : This article studies the three visits of the head of the Armenian Church, the Catholicos Gregory II Pahlavuni, to Constantinople, Rome and Cairo, after the battle of Manzikert which led to the fall of Armenia into the hands of the Seljuk Turks. Where he was able to meet with the Byzantine Emperor Michael VII Dukas, Pope Gregory VII, and Badr al-Gamali, Prince of the armies in Egypt. This research attempts to exploit some sources and recent studies, to discover the relationship between these visits and the first crusade which broke out later.

Keywords : Gregory II; Manzikert; Seljuks; Michael VII; Gregory VII; Badr al-Gamali; crusades.

Résumé : Cet article étudie les trois visites du chef de l'Église arménienne, le Catholicos Grégoire II, à Constantinople, à Rome et au Caire, après la bataille de Mantzikert qui a entraîné la chute de l'Arménie entre les mains des Turcs Seldjoukides. Où il a pu rencontrer l'empereur byzantin Michel VII Dukas, le pape Grégoire VII et Badr al-Gamali, prince des armées d'Égypte. Cette recherche tente d'exploiter certaines sources et des études récentes pour découvrir la relation entre ces visites et la première croisade qui a éclaté plus tard.

Mots clés : Grégoire II; Mantzikert; Arménie; Seldjoukides; Michael VII; Badr al-Gamali; croisades.

منذ انهزام الإمبراطورية البيزنطية في معركة منازكرد سنة 463هـ/1071م، أمام الأتراك السلاجقة الذين فتحوا إقليم أرمينيا، وجزء من الأناضول، لم يتوقف أباطرة القسطنطينية عن توجيه نداء الاستغاثة وطلب النجدة من البابوية. حيث أرسل الامبراطور ميخائيل السابع سنة 465هـ/1073م، خطابا إلى البابا جريجوار السابع (Grégoire VII (1073-1085))، يطلب منه حث الممالك والإمارات الأوربية على إرسال مساعدة عسكرية سريعة لإنقاذ الإمبراطورية البيزنطية وأراضيها في آسيا الصغرى (عاشور، 2010، ص 107؛ Bréhier, 1921, p. 51). وسار الإمبراطور ألكسيس كومنين (Alexis Comnène (474-531هـ/1081-1118م)) على نفس السياسة بعد اعتلائه عرش الإمبراطورية البيزنطية. ولا بد من الإشارة إلى أن أباطرة بيزنطة طلبوا المدد من الغرب للتغلب على السلاجقة واستعادة الأراضي التي فتحوها في آسيا الصغرى فقط، ولم يطلبوا آنذاك حملة صليبية لاسترجاع بيت المقدس. وإذا كان واضحا وجليا أن البيزنطيين استغاثوا بإخوانهم الفرنجة، فهل كان للأرمن دور في طلب المساعدات العسكرية من الغرب الأوربي لتحرير بلادهم من قبضة السلاجقة؟ خاصة وأن بعض المصادر الأرمنية تشير إلى حدوث تقارب بين الكنيستين الأرمنية والكاثوليكية قبل اندلاع الحروب الصليبية، دون إعطاء تفاصيل كافية. وسنحاول في هذا المقال إمطة اللثام عن هذا الموضوع الذي لم يحظ بدراسة وافية من المؤرخين المختصين، معتمدين على مصادر متنوعة ودراسات حديثة.

1. علاقة الأرمن بالفرنجة قبل الحروب الصليبية

تعود علاقة الأرمن بالفرنجة إلى فترة سابقة للحروب الصليبية، وتحدث المصادر التاريخية كثيرا عن العلاقات الودية التي ربطت الخلافة العباسية في عهد هارون الرشيد، بالدولة الكارولنجية في عهد شارلمان، والوفادات المتبادلة بين الطرفين. وبما أن الخليفة العباسي كان يتعامل مع عاهل مسيحي، فإنه كان حريصا على تعيين مسيحيين بين أعضاء سفارته المتوجهة إلى بلاط شارلمان، وكان يرى أن الأرمن هم الأجدر والأكفأ للقيام بهذه المهمة في بلاد الفرنجة (Macler, 1917, p. 10)، وقد ضم هذا الوفد اثنا عشر مستشارا أرمينيا في الشؤون العسكرية والسياسية (كجو، 2009، ص 80).

وكان الأساقفة وبعض رجال الدين الأرمن، قد تعوّدوا منذ القرن السادس الميلادي على شد الرحال من حين لآخر إلى المزارات الدينية المسيحية الغربية التي تزخر بها القارة الأوربية، منها: قري القديسين بطرس (St. Pierre)، وبولس (St. Paul)، في مدينة روما، وهو ما يعتبر في الكتابات الغربية حجاً إلى الأماكن المقدسة المسيحية. ومن أشهر الرحلات زيارة القديس سمعان (Saint. Siméon)، الذي توجه من أرمينيا الكبرى إلى القدس وزار فيها كنيسة القيامة، ثم انتقل إلى روما سنة 373هـ/983م، وحظي بمقابلة البابا بنديكتس السابع (Benoît VII (974-983))، والتقى في مجلسه بقس أرميني آخر كان يحسن اللغة اللاتينية، ومقربا من البابا، وساهم هناك في القيام ببعض الإصلاحات الدينية. وفي هذا الإطار زار فرنسا، ثم إنجلترا، وألقى عصا الترحال في دير بوليرون (Polirone) بإيطاليا، حيث وافته المنية سنة 407هـ/1016م (Zekiyan, 2008, p. 427). ورحلة أخرى قام بها القديس داوین (Davin)، من أرمينيا الكبرى، في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، حيث زار بيت المقدس، ومنها انتقل إلى روما، وبقي في إيطاليا إلى أن وافته المنية سنة 442هـ/1050م، في ليكيا (Lucques) المدينة التي نال أسقفها منصب البابوية باسم البابا اسكندر الثاني (Alexandre

II((1073-1061)، فقام بنقل جثمانه إلى كنيسة القديس ميخائيل. وثمة زيارات أخرى قام بها عديد من رجال الدين الأرمن للصلاة في روما قرب قبر القديس بطرس أو القديس بولس، وآخرون زاروا فرنسا، وقاموا فيها ببعض النشاطات الدينية. (Dédéyan, 1978, pp. 123-126).

ويرى بعض المؤرخين الأرمن أن سبب هذه المحجرات الدينية الأرمنية، هو حملات الأتراك المتكررة على أرمينيا الكبرى، وتوغلهم تدريجياً في آسيا الصغرى، ومضايقتهم لرجال الدين المسيحيين، وتهديمهم للكنائس والأديرة. وهذا الادعاء عارٍ من الحقيقة، لأن السلاجقة لم يفتحوا بلاد الأرمن، ولم يستقروا فيها، إلا بعد معركة مناكرد سنة 463هـ/1071م. كما تميزت سياستهم تجاه الرهبان، والأساقفة بالتسامح، وإعفاء دور عبادتهم من الضرائب، ومنحهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية. بل إن المؤرخ المتخصص في تاريخ الامبراطورية البيزنطية، جون كلود شينييه، قد اعترف في أحد أبحاثه أن قدوم السلاجقة إلى آسيا الصغرى، لم يؤد إلى مغادرة النخبة الأرمنية لموطنها (Cheynet, 2016, p. 10). والواقع أن الكنيسة الأرمنية شهدت خلال القرن العاشر، والنصف الأول من القرن الحادي عشر الميلاديين، حركة تجديد ديني، أدت إلى ازدهار حياة الرهبنة، والتنسك، والاعتزال. (Dédéyan, 2008, p. 907)، واعتكاف رجال الدين في الأديرة، والتفرغ للابتهال والعبادة، وبعضهم فضل السياحة في الأرض، وزيارة البقاع المسيحية المقدسة. (Dédéyan, 1978, p. 124; 2003, vol. 1, p. 254) ومن أشهر الزيارات الدينية التي تزامنت مع بداية الدعوة والتحضير للحملة الصليبية الأولى في أوروبا، تلك التي قام بها الجاثليق¹ جريجور الثاني فيكاياسر (Le Catholikos Grégoire Vekayaser)² إلى القسطنطينية وإلى روما سنة 467هـ/1074م، ثم إلى القاهرة.

2. سفارة الجاثليق جريجور الثاني فيكاياسر

ينتسب جريجور الثاني إلى آل بهلاووني (Pahlawouni)، الأسرة الشهيرة التي احتكرت منصب الجاثليق بين أبنائها فقط، وقدمت خدمات جليلة للكنيسة وللأمة الأرمنية. كان والده جريجور ماجيستروس (Grégoire Magistros) (توفي سنة 450هـ/1058م)، قد دخل في خدمة الامبراطورية البيزنطية، وأصبح من رجالها المخلصين، (Dédéyan, 1993, p. 83). فمنحته لقب دوق (Duc).³ وكان ابنه الأصغر، فهرام (Vahram)، منذ صغره شغوفاً بالعلم، فانكب على الدراسة والتعمق في علوم الدين، واللاهوت والعلوم الإنسانية، والآداب الإغريقية، والأرمنية. وبعد زواجه منحه الإمبراطور قسطنطين العاشر دوقاس، نفس اللقب الذي كان لوالده سابقاً. (Kapoïan-Kouymjian, 1975, p. 5) ثم اعتزل الحياة العامة، وانفصل عن زوجته، معرضاً عن كل الملذات والمناصب الدنيوية، واتجه إلى أحد الأديرة، فاكسب فيه قداسة منحه شهرة واسعة. وفي مجمع ديني، انعقد سنة 457هـ/1065م، انتُخب فهرام من طرف رجال الدين الأرمن جاثليقاً باسم جريجور الثاني. (Tournebize, 1904, p. 108; Kapoïan-Kouymjian, 1975, p. 9). وأثناء رئاسته للكنيسة الأرمنية أدخل بعض الإصلاحات على نظام الأديرة، وشارك شعبه الأحران بعد ضم أرمينيا إلى الإمبراطورية البيزنطية. وفي سنة 463هـ/1071م، تنازل عن منصبه لأحد أعوانه، ودخل إلى دير آراك (Arek)، الواقع في الجبل الأسود بمرتفعات الأمانوس، واعتزل الناس وترهب مدة سنتين. (Vernier, 1891, pp. 206-207). ثم ألح عليه الملك الأرمني جاجيك الثاني، وكثير من النبلاء ليعود إلى رئاسة الكنيسة، ولكنه اعتذر قائلاً بأنه يريد "الذهاب إلى روما، ثم عبور صحراء مصر" (Matthieu d'Edesse, 1858, p. 161-162; Garsoïan, 2008, p. 256).

بعد مدة قضاها في إقليم الفرات، اتجه إلى أرمينيا الكبرى التي كانت تابعة للسلطان ملكشاه التركي السلجوقي، واستفاد هناك من التسامح الديني الذي وجدته عند المسلمين، فنصب أحد الأساقفة في مدينة آني، وبعد أن أقام فيها أياماً، قرر الذهاب إلى القسطنطينية. (Kapoian-Kouymjian, 1975, p. 11.) وهذا دليل آخر على أن هجرة رجال الدين الأرمن نحو أوربا، لم تكن بسبب حملات السلاجقة، ولكن لأسباب أخرى.

أ- جريجور الثاني في القسطنطينية

بعد أن تنازل عن منصبه، شرع جريجور الثاني، في القيام بمهمة دبلوماسية واسعة، ورحلة حج طويلة إلى البقاع المقدسة المسيحية، قادته إلى فلسطين، والقسطنطينية، وروما، ومصر. بدأ هذه الرحلة سنة 467هـ/1074م، فذهب إلى القسطنطينية التي حظي فيها باستقبالٍ حارٍ من طرف الإمبراطور ميخائيل السابع الذي أكرم وفادته، وبقي في ضيافته مدة طويلة. ثم دعاه لعقد مناظرة دينية لاهوتية، في كنيسة آيا صوفيا، ترأسها الإمبراطور، وحضرها بطريرك الكنيسة البيزنطية كوسماس (Kosmas (1075-1081))، ومجموعة من رجال الدين. ويبدو أنه أظهر كفاءة عالية في الإجابة عن الأسئلة التي طرحت عليه حول مذهب الطبيعة الواحدة الذي تعتنقه الكنيسة الأرمنية، فنال بذلك إعجاب الإمبراطور، الذي بالغ في إكرامه، وفتح له خزائن كتبه، وفرض له مرتباً ولمن معه من مرافقيه. (Dédéyan, 2003, vol. 1, pp. 249-250.) ولعل سائلاً يسأل لماذا توجه جريجور الثاني إلى القسطنطينية ولم يسافر مباشرة إلى روما؟ وما سر هذا التقارب والود الذي جمع بين الإمبراطور البيزنطي والجاليلق الأرمني، رغم الخلافات الدينية والسياسية القديمة بينهما؟

يبدو أن المصالح السياسية قد جمعت بين من فرقتهما المذاهب والخلافات الدينية. حيث كان جريجور الثاني يقيم في قرية مُتْراسون (Moutarasoun) قرب نهر الفرات، وكانت هذه المنطقة وما حولها خاضعة لأمر أرميني هو فيلاريت براخامبوس، ولكن خلافاً نشب بين الرجلين، لا يسع المجال هنا للحديث عن أسبابه وطبيعته، مما دفع جريجور الثاني إلى مغادرة مقر إقامته دون رجعة وهو غاضب على فيلاريت. وقد كان هذا الأمير -بعد كارثة منازكر- من أشد المعارضين للإمبراطور ميخائيل السابع، وغير معترف بسلطته، كما أعلن انشقاقه عن الإمبراطورية البيزنطية، وتصرف كأمر مستقل بعيداً عن سيادتها، ثم بسط يده على كثير من المدن والحصون البيزنطية في إقليم قيليقيا (العبد الغني، 2008، ص 105-106). فكان ذهاب جريجور الثاني إلى القسطنطينية أشبه باللجوء السياسي، لأنه أصبح في نظر البيزنطيين الممثل الشرعي الوحيد للشعب الأرمني بعد اغتيال ملكهم واندثار مملكتهم.⁴ ونظراً لما حظي به الجليلق من معاملة وتكريم في القسطنطينية، فإن المؤرخ مَتَّى الرَّهَاقوي، الذي يتحامل كثيراً في كتاباته على البيزنطيين، أثنى هذه المرة على الإمبراطور ميخائيل السابع، واعتبره "سليم العقيدة، وأباً للأيتام وحامياً للأرامل". (Matthieu d'Edesse, 1858, p. 177.) وبناءً على ذلك، فإن ما جمع بين ميخائيل السابع وجريجور الثاني، هو وجود خطرين يهددهما معاً، الأول: هو توسعات السلاجقة في آسيا الصغرى، والثاني: يتمثل في فيلاريت براخامبوس، ولذلك رأى رئيس الكنيسة الأرمنية أن مصلحته السياسية تقتضي منه زيارة القسطنطينية قبل التوجه إلى البابا في روما.

ب - جريجور الثاني في روما

وبما أن المصلحة جمعت بين رجل الدين ورجل السياسة، فإن الجاثليق سرعان ما كسب ثقة الإمبراطور الذي أراد استغلال هذا المكسب الهام. فقام بإرسال جريجور الثاني مع وفد بيزنطي في مهمة دبلوماسية إلى روما، لمقابلة البابا جريجور السابع (Grégoire VII) (1073-1085)، ليلتمس منه مساعدة المسيحيين اللاتين، ضد المسلمين الأتراك، والبحث عن سبل إعادة الوحدة بين كنيسة القسطنطينية وروما. (الحارثي، 2007، ص 81؛ Dédéyan, 2003, vol. 1, p. 252).

والجدير بالذكر أن الزيارة التي قام بها رئيس الكنيسة الأرمنية إلى روما ليست الوحيدة، ولا الأولى من نوعها، حيث تشير بعض الدراسات الأثرية إلى وجود مقابر وكنائس أرمنية، يعود تاريخها إلى القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، مما يفيد أن عددا من رجال الدين الأرمن قد هاجروا من أرمينيا أو من كبادوكيا أو من قيليقيا، واستقر بهم المقام في إيطاليا. (Dédéyan, 1978, pp. 124-126; 2003, vol. 1, pp. 255-256).

حظي الوفد باستقبال حار من طرف البابا جريجور السابع، (Kapoïan-Kouymjian, 1975, p. 14.) ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا فحوى المحادثات والحوار الذي دار بين رئيس الكنيسة الكاثوليكية ومبعوثي الإمبراطور. ولكن من المؤكد أن الجاثليق جريجور الثاني، شرح للبابا جريجور السابع، الأوضاع الخطيرة التي تعيشها الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى، وأن السلاجقة الذين يقتربون تدريجيا من أسوار القسطنطينية، باتوا يهددون المسيحية في عقر دارها. وأن أسهل طريقة لإعادة الروح إلى العلاقات بين الكنيسة البيزنطية وكنيسة روما هو تقديم مساعدة عسكرية للمسيحيين في الشرق. (Dédéyan, 2003, vol. 1, p. 257.) وقد حاولت هذه السفارة، استغلال حماسة واندفاع جريجور السابع، والدور الكبير الذي قام به في حملات الاسبان ضد المسلمين في الأندلس. (Grousset, 1964, p. 20.)

ويتحدث المؤرخون عن مجموعة من الرسائل صدرت عن رئيس الكنيسة الكاثوليكية، وجهها إلى حكام وملوك أوربا يشرح لهم فيها حقيقة موقف المسيحية في الشرق، والحالة الحرجة التي تمر بها الدولة البيزنطية نتيجة توسع السلاجقة في أرمينيا، وآسيا الصغرى، واقتراحهم من أسوار القسطنطينية. وإحدى هذه الرسائل، كتبت بتاريخ 04 فيفري 1074م، (Migne, 1878, col. 325-326.) موجهة إلى دوق بورجنديا (Bourgogne)، ورد فيها أن البابا أعرب عن رغبته في دعوة الملوك والأمراء إلى تكوين قوة عسكرية، تعمل على محاربة النورمان الذين يشكلون تهديدا للبابوية. وبعد استسلامهم، يأمل البابا في انتقال هذه القوة إلى آسيا الصغرى لنجدة ضحايا الهجوم التركي، ويقول فيها: "إنه مستعد للذهاب إلى القسطنطينية لمساعدة المسيحيين الذين يتعرضون للدغات السَرَازان (Sarrazins)⁵ بشكل مستمر، ويطلبون منا تقديم يد المساعدة لهم". (Vasiliev, 1932, t. II, p. 28.) وفي رسالة أخرى بتاريخ 1 مارس 1074، موجهة "لكل المسيحيين" (Migne, 1878, Col. 329.) تحدث عن سفير جاءه من وراء البحار للصلاة والدعاء عند قبور الرسل، وأخبره بدقة عما يتعرض له المسيحيون في الشرق بعد أن فقدوا جزءا كبيرا من أراضيهم، ومن المؤكد أن هذا السفير هو الجاثليق جريجور الثاني. (Dédéyan, 2003, vol. 1, p. 257.) وفي رسالة أخرى بتاريخ 7 ديسمبر 1074م موجهة إلى هنري الرابع، (Migne, 1878, Col. 385-387.) ملك ألمانيا تحدث فيها عن "كارثة حدثت في الشرق" وأخبره بأن سفارة وصلت إلى روما من مسيحيي ما وراء البحر، ويقول فيها إنه مستعد ليقود بنفسه جيشا يتكون من خمسين ألف جندي من مسيحيي الغرب، ليصل بهم إلى كنيسة القيامة. وجاء فيها أيضا: "أنا مصمم على القيام بهذه المهمة أكثر من كنيسة القسطنطينية

التي لها وجهة نظر تختلف عن نظرتنا للروح القدس، وهي في انتظار الاتفاق مع الكرسي الرسولي، وعلاوة على ذلك فإن كل الأرمن تقريباً انخرفوا عن الإيمان الكاثوليكي، وأن القسم الأكبر من المسيحيين الشرقيين ينتظرون أن يروا إيمان القديس بطرس، الذي يختلف عنهم، يدخل بين معتقداتهم". (Dédéyan, 2003, vol. 1, p. 258). ويعود هذا الاهتمام بمسيحيي الشرق، إلى التأثير الذي تركه جريجور الثاني فيكاياسر، على رئيس الكنيسة الكاثوليكية.

ويبدو من رسائل جريجوار السابع، أن البابوية لم توجه الدعوة لتنظيم حملة صليبية واسترجاع بيت المقدس، بل كانت نية الزعيم الروحي للمسيحيين الغربيين، تلخص في تحضير وإعداد حملة حربية إلى الشرق لإنقاذ الامبراطورية البيزنطية، حتى تتمكن من الاضطلاع بدورها المتمثل في الدفاع عن المسيحيين الشرقيين ضد المسلمين، وستدفع القسطنطينية ثمن تلك المساعدة بعودة كنيستها (الضالة) إلى حضن الكنيسة الكاثوليكية. (ربيع، 1983، ص 196).

وتبين من هذه الرسائل أن البابا قد حاول إرسال حملة -قبل الحملات الصليبية- لمساعدة البيزنطيين والأرمن، وجميع المسيحيين الشرقيين، ولم تكن مسألة إعادة الوحدة بين الكنيستين غائبة عن اهتماماته. ورغم عدم وصول مساعدات عسكرية من المسيحيين الغربيين إلى إخوانهم المسيحيين الشرقيين، فإن المراسلات لم تتوقف بين الزعيم الروحي للكنيسة الأرمنية، ونظيره في الكنيسة الكاثوليكية. إذ وجه الجاثليق رسالة إلى البابا يطلب منه معاقبة أحد الأرمن المنشقين لجأ إلى روما مطروداً من أرمينيا، (Dédéyan, 2003, vol. 1, p. 259). فرد عليه البابا برسالة ودية بتاريخ 06 جوان 1080م، (Augé et al., 2008, p. 352). وربما توجد خطابات لم تُعرف بعد قد تبادلها الطرفان. (العبد الغني، 2008، ص 107-108). وما لاشك فيه أن الاتصالات لم تنقطع بين البابوية والجاثليقية، بل دليل أن جريجور الثاني كان على رأس الأرمن الذين انضموا إلى الصليبيين، لما وطأت أقدامهم آسيا الصغرى، ودخل القدس مع جودفري البويوني⁶ (Godefroy de Bouillon)، بتاريخ 24 شعبان 492م/15 جويلية 1099. (Vernier, 1891, p. 208).

ومن المؤكد أن تكون هذه السفارة والمراسلات المتكررة، قد نسجت علاقات متينة مع البابوية، استمرت إلى ما بعد وفاة جريجور الثاني سنة 498هـ/1105م، بل دليل أن من بين الذين خلفوه على رأس الكنيسة الأرمنية، مثل الأخوان غريغور الثالث (Grigor III)، ونرسييس شرنورهيالي (Nersès Chenorhali)، وهما من آل بملووني، قد أظهرتا تقارباً تجاه الكنيسة الكاثوليكية، (Augé, 2007, p. 214). وقام باتصالات مع البابا، إما باستقبال ممثليه القادمين إلى الشرق، أو بإرسال سفارات إلى روما. (Augé et Dédéyan, 2008, p. 352). وهكذا فإن تعاطف البابا مع المسيحيين الشرقيين، ومحاولته تجنيد الفرنج لتقديم المساعدة للإمبراطورية البيزنطية، ما هو إلا صدى لرحلة جريجور الثاني إلى روما واستقباله من طرف جريجوار السابع، (Dédéyan, 1978, p. 133) ودلالة تؤكد لجوء الأرمن إلى طلب المساعدة من زعيم المسيحية الغربية.

ولكن رسائل البابا جريجوار السابع، واستغاثة الجاثليق جريجور الثاني لم تأت بالنتائج المرجوة منها، لأن عوامل كثيرة حالت دون تحقيق هذا المشروع البابوي-الأرمني، منها:

الأول: اختلاف ترتيب الأولويات بين الزعيمين الروحيين، فكان الجاثليق الأرمني يبحث عن مساعدة عاجلة، بينما كان البابا يريد إعادة الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية ومعها كل الكنائس الشرقية إلى بيت الطاعة، وتوحيدها جميعاً تحت زعامة الكنيسة الكاثوليكية. ومن ثمة فإن إعلان الحرب ضد المسلمين في الشرق، يأتي في الدرجة الثانية من سلم اهتمامات

البابا جريجوار السابع، وأن الانقسام الذي حدث بين الكنائس منذ سنة 446هـ/1054م، هو أكثر ترويعاً من توسع المسلمين في الشرق. (Vasiliev, 1932, t. II, p. 29).

الثاني: تخلى الإمبراطور ميخائيل السابع، عن فكرة الدعوة إلى الاتحاد بين الكنيستين البيزنطية والكاثوليكية، وربما كان ذلك بتأثير من الفيلسوف والكاتب ميخائيل بسيللوس. (Michael Psellos). (Dédéyan, 2003, vol. 1, p. 258).

الثالث: فَقَدَ الإمبراطور ميخائيل السابع السلطة بعد أن نجح نقفور بوتانياتس في حركته التمردية التي أوصلته إلى عرش الإمبراطورية البيزنطية، ونصب نفسه إمبراطوراً باسم نقفور الثالث. ولكن البابا جريجوار السابع اعتبره مغتصباً للعرش، ولم يعترف بسلطته، مما أدى إلى انقطاع الاتصالات بين القسطنطينية وروما.

الرابع: انقلب الود الذي كان بين الملك الألماني هنري الرابع والبابا جريجوار السابع إلى عداوة وبغضاء، بسبب القرار الذي أصدره هذا الأخير سنة 467هـ/1075م، ضد التقليد العلماني،⁷ وقبول برفض شديد من طرف الملك، وبدت الحرب سافرة بين العاهلين، (عاشور، 1976، ص 311). ما جعل البابا يلتفت إلى الغرب، ونسي إلى حين، استغاثة جريجور الثاني جاثليق الأرمن، ولم تصل إلى الشرق أية مساعدات حربية من الغرب اللاتيني. (ربيع، 1983، ص 196).

وسواء نجح أم أخفق جريجور الثاني في مهمته بروما، فإننا نتساءل لماذا أرسل الإمبراطور البيزنطي، ضمن سفارته إلى إيطاليا، الزعيم الروحي للأرمن، ولم يرسل بطريرك القسطنطينية؟ خاصة أن الخلافات المذهبية التاريخية بين الكنيسة الأرمنية والكنيسة البيزنطية، لا زالت قائمة.

ويبدو أنه أرسل رئيس الكنيسة الأرمنية ليدي حسن نيته ورغبته في إذابة الجليد بين القسطنطينية وروما، وحدوث تقارب بينهما، أو إعادة الوحدة بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية ومن ورائها كل الكنائس الشرقية، كما يعتبر جريجور الثاني فيكاياسر أفضل سفير للمسيحيين الشرقيين، والأكثر إخلاصاً وثقة، ليقوم بنقل انشغالهم للبابا جريجوار السابع؛ لأنه من بين الأرمن الذين فقدوا وطنهم، وهو بذلك أكثر إحساساً بحاجة الإمبراطورية البيزنطية إلى مناشدة البابا ليعلن التعبئة في أوربا، ويحث المسيحيين الغربيين أو الفرنجة على تقديم المساعدة العسكرية التي يحتاجها المسيحيون في الشرق. وهذه المهمة كان بإمكان بطريرك القسطنطينية أن يضطلع بها، ولكن الرئيس السابق لهذه المؤسسة الدينية وهو ميخائيل الأول كيرولايوس (Michel Ier Cérulaire)، قطع حبل الاتصال بينه وبين البابوية، وكان سبباً في اندلاع الشرارة التي فجرت الاختلافات القديمة بين كنيسة القسطنطينية والكنيسة الكاثوليكية⁸ ثم الانفصال بينهما. (Valognes, 1999, p. 49). وكان الإمبراطور ميخائيل السابع، خبيراً بالأعراف الدبلوماسية التي تقتضي منه أن لا يرسل إلى روما ممثل كنيسة قام أحد رؤسائها بطرد ممثل البابا من القسطنطينية، وأصدر قرار الحرمان ضد الوفد البابوي. ويبدو من المناظرة والمناقشات التي أجراها جريجور الثاني في كنيسة آيا صوفيا بحضور الإمبراطور ميخائيل السابع دوقاس، أن هذا الأخير أعجب بفصاحة الجثليق، وكفاءته، وآرائه، وقدرته على الإقناع، وتقديم الإجابات على الأسئلة التي طرحت عليه. (Dédéyan, 2003, vol. 1, pp. 249-250). وهو لا يمثل الكنيسة البيزنطية التي هي في خلاف مع كنيسة روما، بل يمثل الكنيسة الأرمنية الوطنية المستقلة القائمة بذاتها، ولا ترتبط بأية كنيسة أخرى في الشرق أو الغرب، وهذا ما يجعله قادراً على التحدث مع البابا أفضل من بطريرك القسطنطينية، ولذلك اختاره الإمبراطور ليكون من بين أعضاء سفارته إلى روما.

ج- جريجور الثاني في القاهرة

ومن روما ولى جريجور الثاني وجهه شطر مصر التي وصلها عن طريق البحر، فنزل في الإسكندرية، سنة 472هـ/1079م، واستقبله المستنصر الفاطمي استقبال الملوك. (Kapoian-Kouymjian, 1975, p. 17). ولكن السلطة الفعلية للدولة الفاطمية آنذاك، كانت في يد الوزير بدر الجمالي⁹ الملقب بأمر الجيوش، وهو أرمني مسلم، فأكرم وفادته، وبالغ في الإحسان إليه أكثر من الإمبراطور البيزنطي، وأنزله في كنيسة مار مريم للنصارى الملكانيين بأرض الزهري، ووفد عليه الأرمن المقيمين في مصر لزيارته. (سيد، 2000، ص 672؛ Matthieu d'Edesse, 1858, p. 177).

وإذا كانت دوافع زيارته للقسطنطينية ثم روما واضحة ومنطقية، لأنه ذهب يلتمس المساعدة من إخوانه المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك، فما الهدف من وراء زيارته للقاهرة؟ وماذا سيطلب من الفاطميين؟ وهل هناك مصالح مشتركة بينه وبين بدر الجمالي؟

الواقع أن زيارته لمصر لم تكن للمجاملة أو لأداء شعيرة دينية، بل هي زيارة سياسية دبلوماسية بالدرجة الأولى، لأن الجاثليق كان يعي بأن مقاليد الحكم هناك هي بين أيدي بدر الجمالي الأرمني. وهو أول وزير عسكري للدولة الفاطمية، وقد نجح في إنقاذها -من خلال الهيمنة عليها- من الموت المبكر، فأوقف التقدم السلجوقي غربا في اتجاه مصر، وعزز السيطرة الفاطمية على ساحل الشام، وأعاد بناء جيش الدولة وجهازها الإداري المتهالك. (الشنقيطي، 2016، ص 113). كما نجح في إصلاح الأوضاع الداخلية، والقضاء على رجال الفساد، وإعادة الاستقرار للبلاد، "وعلى يده صلحت ديار مصر وعمرت بعد تحكم الفساد بها وخرابها"، (المقريزي، 1991، ج 2، ص 401). فكسب بذلك ثقة المستنصر، الذي منحه صلاحيات واسعة وفوض إليه شؤون البلاد والعباد، "وألقى إليه مقاليد مملكته، وسلم إليه أمور خلافته"، (المقريزي، 1971، ج 2، ص 329). فأصبح بدر الجمالي مطلق اليدين في مصر.

وكان جريجور الثاني، يدرك بأن الأرمن، يشكلون قوة عسكرية متميزة في مصر. وقد قديم بعضهم مع بدر الجمالي من عكا؛ لأنه اشترط على المستنصر الفاطمي لما كاتبه، أن يُخْضِرَ معه عساكره وجنوده، وألا يبقى على أحد من جيش مصر، فوافق على ذلك. (المقريزي، 1971، ج 2، ص 311). ومنذ أن استلم مهامه وهو يعمل على تعزيز قوته العسكرية بالأرمن الوافدين عليه الذين ظلوا يتزايدون، إلى أن بلغ عددهم ما بين ثلاثين ألف، وخمسة وثلاثين ألف أرمني. (Matthieu d'Edesse, 1858, p. 177) حتى أصبحوا يشكلون عصبه جيشه. "وقدِمَت إليه عدة من طوائف الأرمن تقوى بهم". (المقريزي، 1971، ج 2، ص 398). والمؤكد أن هذه الطوائف التحقت بمصر، بسبب الحروب بين البيزنطيين والسلاجقة الذين سيطروا على أرمينيا، وبعض الأجزاء من قيليقيا وشمال سوريا. وكان بدر الجمالي متسامحا مع بني جنسه ومع غيرهم من أهل الذمة، ولم يجبرهم على اعتناق الإسلام، بل أقطعهم أرضا وسمح لهم ببناء "كنيسة كبيرة متسعة بعدة قباب"، (أبو صالح، 1895، ص 61). ووضع الجاثليق في خدمتهم. ونظرا للصلاحيات التي منحت له، وعدد الأرمن المتزايد في مصر، فقد علق المقريزي على تلك الفترة متحدثا عن الوزير بدر قائلا: "وأقام دولة الأرمن بديار مصر"، (المقريزي، 1991، ج 2، ص 402). وبناء على ذلك فإن زيارة الجاثليق الأرمني لمصر كانت بمثابة زيارة دولة أرمنية في المنفى، وأن آل بهلويوني أصبحوا ملوكا بدون مملكة. (Dédéyan, 2003, vol. 1, p. 266). مع ما في ذلك من مبالغة.

والحقيقة أن جريجور الثاني فيكاياسر، وجد نفسه في أرمينيا، وفي قيليقيا فاقدًا لأي دعم سياسي، بعد اغتيال حاجيك الثاني آخر ملوك مملكة آني سنة 465هـ/1073م، ورأى بأَم عينيه زوال المملكة الوطنية للأرمن. ثم تعرض لضغط من فيلاريت الذي كان يعمل على تأسيس سلطة سياسية أرمينية، ذات اتجاه خلقدوني، مخالفًا بذلك قواعد ومبادئ الكنيسة القومية الأرمنية. ولذلك فإن جريجور، كان يريد تأسيس مأوى وطني أرميني في مصر، بدعم من بدر الجمالي الذي كان يرى في توافد الأرمن عليه، صمام أمان لاستمرار نفوذه. (Dédéyan, 2003, vol. 1, pp. 276).

ويبدو أن زيارة الجاثليق جريجور الثاني للقاهرة هي تكملة لمهمته التي بدأها في القسطنطينية وتلاها بروما، ومن غير المستبعد أن يكون مكلفًا من طرف الإمبراطور ميخائيل السابع، بمهمة دبلوماسية في مصر، نظرًا لتحسن العلاقات بين الدولة البيزنطية والدولة الفاطمية، في بداية عهد المستنصر الذي عمل على تحسين علاقته مع البيزنطيين، حتى يضمن تموين القمح الذي يصله من القسطنطينية. كما كان في حاجة إلى أن يأمن جانبهم حتى يتفرغ لمواجهة العباسيين والسلاجقة. (سيد، 2000، ص 186). "فتجددت الهدنة بين صاحب مصر وبين الروم وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية عظيمة"، (ابن الأثير، 1983، ج 8، ص 46). وكان ذلك سنة 439هـ/1047م، واستمرت الهدنة بينهما ثلاثين سنة. (Dédéyan, 2003, vol. 1, pp. 276). ومن المحتمل أنه جاء إلى القاهرة يخطب ود الفاطميين، ويلتمس منهم مساعدة البيزنطيين في حربهم ضد السلاجقة الذين أخذوا في التقدم السريع من الشرق. فأنقذوا الخلافة العباسية من أيدي الشيعة، ثم قضوا على نفوذ الفاطميين في الشام، وباتوا يشكلون تهديدًا متناميًا للدولة البيزنطية والدولة الفاطمية التي لم تبق لها سيادة إلا على مصر، وجنوب فلسطين، والحجاز، واليمن. (سيد، 2000، ص 189، 196؛ Grousset, 1964, p. 30). مما أدى إلى استحكام العداوة بين الفاطميين والسلاجقة. ولم يكن جاهلاً بالانقسام الذي ساد العالم الإسلامي في هذه الفترة، والصراع السافر بين المعسكر الشيعي في مصر، والمعسكر السني في العراق والشام. فهو قدّم إلى مصر ليستثمر في هذه العلاقات المتوترة بين المسلمين، ويستقطب الدولة الفاطمية، عن طريق وزيرها الأرميني ويجعلها تدور في فلك الإمبراطورية البيزنطية. فهل نجح رئيس الكنيسة الأرمنية في إثارة الأرمن بمصر ضد السلاجقة ؟

لا تقدم المصادر إجابات واضحة عن هذا السؤال، ولكن قراءة بعض الأحداث التي أعقبت الزيارة بقليل، تزيل بعض الغموض. ويسوق ابن الأثير ضمن أحداث سنة 491هـ/1097م، رواية تفيد الشك، فبعد أن ذكر أسباب خروج الفرنج إلى بلاد الشام، قال: "وقيل إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الأقباس إلى مصر وحصرها فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله أعلم". (ابن الأثير، 1983، ج 8، ص 187). وما يعزز هذه الرواية، أن الإمبراطور ألكسيس كومنين، نصح الصليبيين الذين نزلوا بالقسطنطينية، بالسعي للاتفاق مع الفاطميين في مصر، لأنهم أشد الناس خصومة للترك. وتشير بعض المراجع إلى سفارة أرسلها الصليبيون إلى مصر بعد انتزاعهم مدينة نيقية من السلاجقة سنة 490هـ/1097م. (عاشور، 1977، ص 171؛ رنسيما، 1997، ج 1، ص 325). وأثناء الحصار الذي ضربه الصليبيون على انطاكية، قدّمت في أوائل 491هـ/1098م، إلى معسكرهم سفارة مصرية أرسلها كبير وزراء مصر الأفضل بن بدر الجمالي،¹⁰ وجدت ترحيبًا منهم، وحملت اقتراحًا يتمثل في اقتسام أراضي الدولة السلجوقية،

خاتمة

الهوامش

² ورد اسمه بصيغتين جريجور (Grigor)، و غريغوار (Grégoire)، وكان اسمه السابق فهرام (Vahram)، واشتهر بلقب فيكاياسر (Vekayaser)، أي صديق الشهداء، لأنه اعتكف على ترجمة كثير من الكتب المتعلقة بحياة، وتاريخ القديسين المسيحيين، لتكون مثالا يحتذى به الشعب الأرمني. (Vernier, 1891, pp. 206-207).

³ دوق (Duc) : حاكم عسكري خاص بمقاطعة معينة، ويكون خاضعا لسلطة الوالي، وكان هذا المنصب يقتصر أحيانا وفي بعض المناطق (مثل مصر) على نبلاء القصر، وتمنح لهم صلاحيات مدنية وعسكرية واسعة. (رنسيما، 2010/1932، ص 98، 317؛ Bréhier, 1949, p. 102,113).

⁴ انقرضت سلالة البحارطة بعد اغتيال الملك الأرميني جاجيك الثاني سنة 466هـ/1073م، ولقي كثير من أتباعه الأمراء الأرمن نفس المصير، وفي نفس السنة اغتيل تورنيك حاكم إقليم ساسون من طرف فيلاريت، ووجد الشعب الأرميني نفسه مقسما بين عدة أمراء يتنافسون على السلطة، ويتوسعون على حساب بعضهم البعض ... ولم تبق إلا المؤسسة الدينية المتمثلة في شخص الجثليق، التي تجمع بين أطيايف الشعب الأرميني في المهجر. (Augé et Dédéyan, 2008, pp. 348-353).

⁵ سَرَزَان (Sarrazins) : استعمل اليونان قديما كلمة (Saraceni)، و (Saracenes)، واستعملها اللاتين على هذه الصورة (Saracenus)، للدلالة على العرب، وأطلقوها على قبائل عربية كانت تقيم في بادية الشام، وفي طور سيناء، وتوسع مدلولها بعد القرن الخامس الميلادي، فأطلقت على العرب عامة، وشاع استعمالها في القرون الوسطى من طرف المؤرخين والكتاب النصارى، وأصبحوا يطلقونها على جميع العرب، والمسلمين. ويعتقد بعض الباحثين أن الكلمة مركبة من كلمة (سارة) زوجة سيدنا ابراهيم، وكلمة (قين)، فيكون المعنى عبيد سارة، وتوجد تعليقات أخرى لأصل ومعنى هذه الكلمة. (علي، 1993، ج 1، ص 26-30).

⁶ جودفري البيوني : هو جودفري الرابع دو بولوني أو بويون، ولد في بيزي عام 1061 تقريبا، ابن أوستاش الثاني كونت بولوني، ورث عمه جودفري الثالث دوق اللورين فأصبح دوق اللورين الأسفل (1098-1095)، باع دوقيته وغادر في الحملة الصليبية الأولى، وانتخب أول ملك غير متوج لمملكة بيت المقدس (1099-1100م). (الربيعي، 1422 هـ، ص 449).

⁷ يتعلق هذا القرار بحرمان الحكام العلمانيين من أباطرة وملوك وأمراء، من حقهم في تعيين رجال الدين في مناصبهم الدينية، الأمر الذي أزعج هنري الرابع، فاتخذ موقفا رافضا وحازما تجاه القرار البابوي، فقام البابا من جهته بتوقيع قرار الحرمان ضد هنري الرابع، وعزله من منصبه وتحرير جميع رعاياه وأتباعه من أيمان الطاعة والتبعية التي أقسموا بها، وبذلك بدأت بين العاهلين حرب باردة سافرة، أثرت على مشاريع البابوية في الشرق. (عاشور، 1976، ص 303-306، 310-318).

⁸ وصلت الاختلافات إلى ذروتها بسبب سلوك الوفد البابوي الذي كان مشوبا بالتعالي والكبرياء وعدم الاحترام، وأبدى البطريرك البيزنطي موقفا مماثلا، وامتدت الاختلافات في وجهات النظر إلى التفاصيل الجزئية مثل المذهب والطقوس وعدم زواج رجال الدين واستخدام الخبز غير المخمر والصيام وما إلى ذلك. (ربيع، 1983، ص 164؛ Valognes, 1999, pp. 47-54).

⁹ بدر الجمالي (بداية القرن الخامس الهجري - 487هـ/1094م) : هو بدر بن عبد الله، أرميني الجنس، أسر في إحدى الغزوات، اشتراه وهو صغير جمال الدولة أبو الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس الشام لذلك نسب إليه، وتربى عنده، وترقى في عهده، وبقي يحمل اسمه، فعرف لذلك ببدر الجمالي. وبدأ حياته السياسية واليا على دمشق في سنة 455هـ، كاتبه المستنصر سرا يدعوه للقدوم إلى مصر، لإصلاح حال البلاد وإنقاذها من الأزمات المتتالية، وكان في ذلك الوقت يتولى مدينة عكا، فنزل سنة 466هـ/1074م، بدمياط في مائة مركب مشحونة بالأرمن. ولما دخل بدر الجمالي على المستنصر قرأ قارئ {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ} (آل عمران : 123) ولم يتم الآية، فقال المستنصر : لو أتمها ضربت عنقه. وقد أكرم المستنصر وفادة بدر، وأطلق يده في إصلاح حال البلاد، وولاه وزارة التفويض وإمارة الجيوش، (وزير السيف والقلم)، فقضى بدر على رؤوس الفتنة في مصر، وقتل رجال الدولة، وأقام لنفسه جندا وعسكرا من الأرمن، يقول المقرئ : "فصار من حينئذ معظم الجيش الأرمن وذهبت كتامة وصاروا من جملة الرعية بعدما كانوا وجوه الدولة وأكابر أهلها". (ابن خلكان، 1969، ج 2، ص 448-449؛ ابن الصيرفي، 1923، ص 55-56؛ سيد، 2000، ص 209-213).

¹⁰ الأفضل بن بدر الجمالي (1094-1121) : أرميني الأصل، اشتغل في بداية أمره نائبا عن والده، ووليا لعهد سنة 477هـ/1084م، ولما مرض والده وأصبح غير قادر على مباشرة مهامه، تقلد أمور مصر وشارك والده أعباء الوزارة، وبعد وفاة بدر الجمالي سنة 487هـ/1094م، اتخذ المستنصر حاكم مصر وزيرا له. وبعد وفاة المستنصر سنة 487هـ/1094م، حال الأفضل دون تولية نزار أكبر

أبناء المستنصر وولي عهده للعرش، وباع أخاه الصغير أبا القاسم الذي لقب بالمستعلي، ولما توفي هو الآخر سنة 495هـ/1101م، أحضر الأفضل ابنه أبا علي المنصور وبايعه أقامه مكان أبيه ولقبه بـ "الأمير بأحكام الله" وهو لم يتجاوز الخمس سنوات، فحجر عليه الأفضل، وصار بذلك مطلق التصرف في تدبير أمور الدولة التي حكمها بديكتاتورية، وتصرف فيها كالمملوك والسلطين. فنقل مقر الحكم إلى "دار الملك" التي بناها جنوب الفسطاط، وجرّد الحاكم من كل سلطاته، وحرّم عليه الركوب في المواسم والأعياد، وأكثر من استخدام الموظفين النصارى، وأحاط نفسه بجنود من الأرمن، وشجع على هجرتهم إلى مصر، وأذن لهم في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها. وكان غير مبال بسقوط مدن الشام في أيدي الصليبيين. توفي مقتولا على يد الإسماعيلية النزارية، ليلة عيد الفطر سنة 515هـ/1122م، ويقال أن الأمر حاكم مصر دبر عملية قتله، ولذلك سُرّ الأمر بمقتله سرورا غير مستور عن كافة الخاصة والكافة بمصر والقاهرة. (ابن القلانسي، 1908، ص 203-204؛ ابن الأثير، 1983، ج 8، ص 173، 303؛ ابن الصيرفي، 1923، ص 57-59؛ سيد، 2000، ص 217-229؛ الموسوعة العربية الميسرة، 2010، ج 1، ص 339).

قائمة المراجع

1. ابن الأثير، أبو الحسن، (1983)، الكامل في التاريخ، ط 4، بيروت: دار الكتاب العربي.
2. الحارثي، عبد الله بن ناصر بن سليمان، (2007)، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة/الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، بيروت: الدار العربية للموسوعات.
3. ابن خلكان، شمس الدين أحمد، (1969)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه د. إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
4. ربيع، حسنين محمد، (1983)، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة: دار النهضة العربية.
5. الربيعي، عبد الله بن عبد الرحمن، (شوال 1422 هـ)، "موقف الامبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية"، مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ع 36، الرياض.
6. رنسيما، ستيفن، (1997)، تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية، السيد الباز العريني، بيروت: دار الثقافة.
7. رنسيما، ستيفن، (2010)، الحضارة البيزنطية، (ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد)، ط 3، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
8. سيد، أيمن فؤاد، (2000)، الدولة الفاطمية في مصر : تفسير جديد، ط 2، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
9. الشنقيطي، محمد بن المختار، (2016)، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعية، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
10. أبو صالح الأرمني، (1895)، تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني تذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها، أوكسفورد: المطبعة المدرسية.
11. ابن الصيرفي، أبي القاسم علي، (1923)، الإشارة إلى من نال الوزارة، عني بتحقيقه والتعليق عليه، عبد الله مخلص، القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية.
12. عاشور، سعيد عبد الفتاح، (1976)، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت: دار النهضة العربية.

13. عاشور، سعيد عبد الفتاح، (1977)، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت: جامعة بيروت العربية.
14. عاشور، سعيد عبد الفتاح، (2010). الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، (ج 1). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
15. العبد الغني، عبد الرحمن محمد، (2008)، "الأرمن في الحرب الصليبية (1097-1099)", مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي معسكر، ع 03. ص. 103-112.
16. علي، جواد، (1993)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، (د. م.): (د. ن.).
17. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة، (1908)، ذيل تاريخ دمشق، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين.
18. كجو، غسان، (2009). "حركة المثاقفة الأرمنية العربية ودور الأرمن في حركة النهضة العربية"، ورقة عمل مقدمة إلى الندوة الدولية للعلاقات الثقافية العربية-الأرمنية، جامعة القاهرة، 16 مارس 2009، القاهرة: منشورات مركز الدراسات الأرمنية-كلية الآداب.
19. المدور، عثمان، (بدون تاريخ)، الأرمن عبر التاريخ، ط 2، دمشق: منشورات دار نوبل.
20. المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي، (1971)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
21. المقرئزي، تقي الدين، (1991)، كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد العلاوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
22. الموسوعة العربية الميسرة، (2010)، بيروت: المكتبة العصرية.
23. وليم الصوري، (1991)، الحروب الصليبية، ترجمة د. حسن حبشي، القاهرة: مؤسسة الاسراء للنشر والتوزيع.
24. Albert d'Aix, (1824), Histoire des faits et gestes dans les régions d'outre-mer, Paris: J.-L.-J. Brière Libraire.
25. Augé Isabelle, (2007), Byzantins, Arméniens et Francs au temps de la croisade, Paris: Geuthner.
26. Augé Isabelle et Dédéyan Gérard, (2008), Le dilemme de l'Eglise : ouverture ou défense de la tradition nationale, In Gérard Dédéyan (directeur), Histoire du peuple arménien, pp. 348-356, Toulouse: Editions Privat.
27. Bréhier Louis, (1921), L'Eglise et l'Orient au moyen âge les croisades, (4^{ème} éd.), Paris: J. Cabalda éditeur.
28. Bréhier Louis, (1949), Les institutions de l'empire byzantin, Paris: Editions Albin Michel.
29. Cheynet Jean-Claude, (2016), "La perte de l'Asie Mineure au X^{ie} siècle a-t-elle laissé des traces dans l'anthroponymie familiale ?", In Studies in Byzantine Sigillography, vol. 12, Berlin: Walter de Gruyter.
30. Dédéyan Gérard, (1978), "Les Arméniens en Occident, fin du X^e siècle – début du XI^e", in Actes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public, 9^e congrès, 1978, Dijon.
31. Dédéyan Gérard, (1993), "Les Arméniens sur la frontière sud-orientale de Byzance, fin IX^e - fin XI^e siècles", In La Frontière. Séminaire de recherche, vol. 21, n° 1, Lyon: Maison de l'Orient et de la Méditerranée Jean Pouilloux.
32. Dédéyan Gérard, (2003), Les Arméniens entre Grecs Musulmans et Croisés, étude sur les pouvoirs arméniens dans le Proche-Orient Méditerranéen (1068-1150), Lisbonne: Fondation Calouste Gulbenkian.

33. Dédéyan Gérard, (2008), Les Arméniens dans la France médiévale, In Gérard Dédéyan (directeur), Histoire du peuple arménien, pp. 905-909, Toulouse: Editions Privat.
34. Garsoïan Nina, (2008), Le royaume du nord, In Gérard Dédéyan (directeur), Histoire du peuple arménien, pp. 243-274, Toulouse: Editions Privat.
35. Grousset René, (1964), Les Croisades, Paris: Presses universitaires de France.
36. Grousset René, (1991), Histoire des croisades, Paris: Perrin.
37. Kapoïan-Kouymjian Angèle, (1975), "Le Catholicos Grégoire II le Martyrophile (vkayaser) et ses pérégrinations", in Bazmavap, vol. 132, n° 3-4, Venise.
38. Macler Frédéric, (1917), La France et L'Arménie à travers l'art et l'histoire, Paris: Imprimerie H. Turabian.
39. Matthieu d'Edesse, (1858), Chronique de Matthieu d'Edesse (962-1136), Traduit par Edouard Dulaurier, Paris: A. Durand Libraire.
40. Migne Jacques-Paul, (1878), S. Gregorii VII Romani Pontificis Epistolae et Diplomata pontificia, tomus unicus, Paris: Apud Garnier Fratres Editores et J-P successores.
41. Tournebize F., (1904), "Histoire politique et religieuse de l'Arménie", in Revue de l'Orient Chrétien, neuvième et dixième année, Paris: Librairie A. Picard et fils.
42. Valognes Jean-Pierre, (1999), Vie et mort des chrétiens d'Orient des origines à nos jours, Paris: Fayard.
43. Vasiliev A. A., (1932), Histoire de l'empire byzantin, traduit du russe par P. Brodin et A. Bourguina, Paris: Editions A. Picard.
44. Vernier Donat, (1891), Histoire du Patriarcat arménien Catholique, Paris, Lyon: Delhomme et Briguet éditeurs.
45. Zekïyan Levon B., (2008), Les colonies arméniennes des origines à la fin du XVIII^e siècle, In Gérard Dédéyan (directeur), Histoire du peuple arménien, pp. 425-446, Toulouse: Editions Privat.